



كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة
المجلة العلمية

أسباب الرزق
في
ضوء العقيدة الإسلامية

إعداد

د/ أحمد سيد شحاتة

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
بكلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة

(العدد الخامس)

(الإصدار الأول)

١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م

أسباب الرزق في ضوء العقيدة الإسلامية

اسم الباحث / أحمد سيد شحاتة .

الدرجة العلمية / أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة

الكلية / البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة .

الجامعة / الأزهر الشريف .

البلد / جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني الجامعي / doctor_ahmed736@yahoo.com

ملخص البحث :

يتناول البحث أسباب الرزق في ضوء العقيدة الإسلامية فإن الله سبحانه خلق خلقه فأحصاهم عدداً، وقدر أرزاقهم فلم ينسَ أحداً ووسع الخلق فضلاً وإفضالاً، وأبدع السوابق واللواحق على غير مثال عدلاً واعتدالاً، رزق من شاء باكتساب وجهدٍ، ورفق بآخرين فتكفل برزقهم دون كدٍ، إلى منتهى أجلهم ومن المهد.

والله عز وجل قسم الأرزاق بعلمه، فأعطى من شاء بحكمته، ومنع من شاء بعدله، وجعل بعض الناس لبعض سخرىً، قال الله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

ولما كان الإنسان ضعيفاً أمام قضية الرزق بضعف نفسه الهلوعة الموصوفة بالطمع والشح إلا من رحم الله، فقد تداركت رحمة الله تعالى هذا الإنسان الضعيف، فبين الله تعالى له أسباب الرزق، ودلّه على طرقه، وأعلمه أنه سبحانه وحده المتكفل برزقه، وأن الرزق من عنده تعالى، وليس من عند غيره جلّ

جلاله، قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

فلو ترك الإنسان مع ضعفه بدون أن يعين له مصدر رزقه وأسبابه، لتناه في غياهب الحيرة، وتذبذب في مجاهل الذلة والهوان لآخرين مثله، فلا يصلح بذلك لقيادة أو ريادة.

ولذلك كان بيان القرآن الكريم لمسألة الرزق بياناً شافياً تناول حقائقه ودقائقه، وأبعاده وأسبابه توسعة وتضييقاً، فلم يترك فيه شاردة ولا واردة إلا بينها أتم بيان وأكملة.

كما جاءت السنة النبوية في موضوع الرزق مبيّنة - على جهة التفصيل - أمر الرزق، ومصدره، وأنواعه، وأسبابه بسطاً وتضييقاً، وموقف المسلم فيه تناولاً وسعياً، وأخذاً بالأسباب حتى تقوى العقيدة في قلبه ويتعلق بالله وحده.

لقد تعددت وتنوعت أسباب الرزق، رحمة من الله تعالى بالمرزوقين وتيسيراً عليهم، فلم يجعلها سبباً واحداً، قال الغزالي رحمه الله: "فإن الذي أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق، بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى إليها، وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء، قال الله تعالى: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ وأسرار السماء لا يُطْلَعُ عليها".

وهذه الأسباب منها ما هو حسي مادي ، ومنها ما هو معنوي وسنفصل القول بإذن الله عن هذه الأسباب من خلال هذا البحث والله المستعان.

الكلمات المفتاحية : الرزق - أسباب - بالأسباب - السنة - الخلاق .

Reasons for Sustenance in Light of Islamic Creed

Researcher Name: Ahmed Sayed Shehata

Academic Degree: Assistant Professor, Department of Creed and Philosophy

College: Al-Azhar Girls' College in New Minya

University: Al-Azhar University

Country: Arab Republic of Egypt

University Email: doctor_ahmed736@yahoo.com

Summary of the research:

The research deals with the causes of livelihood in the light of the Islamic doctrine. God Almighty created His creatures and counted them in number, and determined their livelihoods without forgetting anyone, and He expanded the creatures in kindness and favor, and created the precedents and successors without example, justly and moderately, providing for those He willed by earning and effort, and mercifully providing for others, ensuring their livelihood without toil, until the end of their time and from the cradle.

Allah, the Almighty, divided the livelihoods with His knowledge, giving whoever He willed with His wisdom, preventing whoever He willed with His justice, and making some people ridiculous to each other. □ We have divided between them their livelihoods in this life, and We have

raised them above each other to make each other ridiculous, and the mercy of your Lord is better than what they gather.

Since man is weak before the issue of livelihood by the weakness of his delirious soul, which is characterized by greed and greed, except for those who have mercy on him, God's mercy took care of this weak man, so God showed him the causes of livelihood, guided him to its ways, and informed him that He alone is responsible for his livelihood, and that the livelihood is from Him, and not from anyone else, saying: "Those whom you worship besides Allah cannot provide you with sustenance, so seek your sustenance with Allah, worship Him and be thankful to Him to whom you will return .

If man were left with his weakness without being assigned the source of his livelihood and its causes, he would be lost in the darkness of confusion and wobble in the ignorance of humiliation and humiliation to others like him, thus not being fit to lead or pioneer.

Therefore, the Qur'an's statement on the issue of livelihood was a comprehensive statement that dealt with its facts and subtleties, its dimensions and causes, both broadening and narrowing, leaving no stone unturned until it was fully and completely explained

The Prophet's Sunnah also came on the subject of livelihood, explaining – in detail – the matter of livelihood, its source, types and causes, both broadly and narrowly, and the Muslim's attitude towards it in terms of eating, seeking, and taking causes so that the faith in his heart is strengthened and his attachment to God alone is strengthened .

Al-Ghazali (may Allah have mercy on him) said: “The hidden causes of livelihood are greater than what has appeared to the creatures, but the entrances of livelihood are innumerable and its paths are not guided, because its appearance is on the earth and its cause is in the sky, as Allah says: ”And in the sky is your sustenance and what you promise, and the secrets of the sky are not known to you.

We will elaborate on these reasons, some of which are physical, and some of which are moral, and God willing, we will elaborate on these reasons through this research, and God will help us.

Keywords: Livelihood – Causes – Causes – Sunnah – Creatures

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾^{(٣)(*)}.

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد...

فإن الله سبحانه خلق خلقه فأحصاهم عدداً، وقدر أرزاقهم فلم ينسَ أحداً ووسع الخلق فضلاً وإفضالاً، وأبدع السَّوابق واللواحق على غير مثال عدلاً

(١) سورة آل عمران آية ١٠٢.

(٢) سورة النساء آية ١.

(٣) سورة الأحزاب آية ٧٠، ٧١.

(*) هذه الخطبة هي خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه أن يبدأ بها في أمور دينهم سواء كانت خطبة نكاح أو جمعة أو محاضرة أو غير ذلك.

واعتدالاً، رزق من شاء باكتساب وجهدٍ، ورفق بآخرين فتكفل برزقهم دون كدٍ، إلى منتهى أجلهم ومن المهد

والله - عز وجل - قسم الأرزاق بعلمه، فأعطى من شاء بحكمته، ومنع من شاء بعدله، وجعل بعض الناس لبعض سخرى، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (١).

ولما كان الإنسان ضعيفاً أمام قضية الرزق بضعف نفسه الهلوعة الموصوفة بالطمع والشح إلا من رحم الله، فقد تداركت رحمة الله تعالى هذا الإنسان الضعيف، فبين الله تعالى له أسباب الرزق، ودلّه على طريقه، وأعلمه أنه سبحانه وحده المتكفل برزقه، وأن الرزق من عنده تعالى، وليس من عند غيره جلّ جلاله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢). فلو ترك الإنسان مع ضعفه بدون أن يعيّن له مصدر رزقه وأسبابه، لتاه في غياهب الحيرة، وتذبذب في مجاهل الذلة والهوان لآخرين مثله، فلا يصلح بذلك لقيادة أو ريادة. ولذلك كان بيان القرآن الكريم لمسألة الرزق بياناً شافياً تناول حقائقه ودقائقه، وأبعاده وأسبابه توسعة وتضييقاً، فلم يترك فيه شاردة ولا واردة إلا وبينها أتم بيان وأكمل.

كما جاءت السنة النبوية في موضوع الرزق مبيّنة - على جهة التفصيل - أمر الرزق، ومصدره، وأنواعه، وأسبابه بسطاً وتضييقاً، وموقف المسلم فيه تناولاً وسعياً، وأخذاً بالأسباب حتى تقوى العقيدة في قلبه ويتعلق بالله وحده.

(١) [الزخرف: ٣٢]..

(٢) سورة العنكبوت: (١٧).

لقد تعددت وتنوعت أسباب الرزق، رحمة من الله تعالى بالمرزوقين وتيسيراً عليهم، فلم يجعلها سبباً واحداً، قال الغزالي رحمه الله: "فإن الذي أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق، بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى إليها، وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء، قال الله تعالى: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ^(١) وأسرار السماء لا يُطْلَعُ عليها"^(٢).

وهذه الأسباب منها ما هو حسي مادي ، ومنها ما هو معنوي وسنفصل القول بإذن الله عن هذه الأسباب من خلال هذا البحث والله المستعان.

(١) سورة الذاريات: (٢٢)

(٢) إحياء علوم الدين (٢٧٤/٤).

المبحث الأول

تعريف الرزق

والرَّزْقُ: مصدر رَزَقَ يَرْزُقُ رَزْقًا (فالرَّزْقُ بالفتح: المصدر، وبالكسر: الاسم) وجمعه أرزاق^(١). والرَّزْقُ: العطاء. وقال ابن السكيت: الرزق بلغة أزد شَنْوَة: الشكر، وهو قول الله عز وجل: وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ^(٢) أي شكركم التكذيب، ويقال: رزقني، أي شكرني^(٣).

كان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقرأ هذه الآية ثم قال: "ما ماطر الناس ليلة قط إلا أصبح بعض الناس مشركين يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا، قال: وقال : وتجعلون شكركم أنكم تكذبون" ^(٤).

قال الراغب الأصفهاني: "الرزق يقال للعطاء الجاري تارة - دنيوياً كان أم أخروياً - وللنصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف ويُغذَى به تارة"^(٥).

(١) لسان العرب: (١١٥/١٠).

(٢) سورة الواقعة: (٨٢).

(٣) تفسير القرطبي (٢٢٨/١٧).

(٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٨٥)، وابن جرير في التفسير (٦٦٢/١١) رقم ٣٣٥٥٨، و٣٣٥٥٩.

وصحح إسناده ابن كثير في التفسير (٣٢٠/٤) والحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٢٢/٢).

(٥) المفردات (٣٥١).

المبحث الثاني

أسباب الرزق

للرزق أسباب مادية ومعنوية إذا تحراها الإنسان رزق من واسع فضل الله تعالى، ومن هذه الأسباب:

السبب الأول: السعي في طلبه :

وهو أول الأسباب في رأيي لأن الله — عز وجل — خلقنا وخلق لنا الأسباب وأمرنا أن نأخذ بها ثم لا نتكل عليها فقد جعل سبحانه الطعام سببا مباشرا للشبع والماء سببا مباشرا للري والدواء سببا مباشرا للشفاء مع أنه — عز وجل — مقدر للشبع والري والشفاء دون أن يرتبط ذلك بما خلقه من أسباب.

والسعي في طلب الرزق يكون بالضرب في الأرض والعمل الجاد وطلب الرزق الحلال الطيب للإعانة على الحياة الكريمة و عبادة الله سبحانه وتعالى .
يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (١).

ففي هذه الآية امتنان من الله تعالى على خلقه مما يشعر أن في هذا الأمر مع الإباحة توجيهاً وحثاً للأمة على السعي والعمل والجد ، والمشي في مناكب الأرض من كل جانب لتسخيرها وتذليلها ، مما يجعل الأمة أحق بها من غيرها (٢).
وحت الناس على الكسب مع عدم الركون الى الأسباب بل الاعتقاد بأن الله هو الرزاق يدل على ذلك حديث " ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده " (٣) .

(١) (الملك : ١٥) ..

(٢) أضواء البيان - (٨ / ٢٣٨) ..

(٣) (رواه البخارى باب كسب الرجل وعمله بيده ج ٢ ص ٧٣٠) ..

ففي هذا الحديث تحريض على الكسب الحلال وهو متضمن لفوائد كثيرة منها إيصال النفع إلى الناس بتهيئة أسبابهم من نحو زرع وغرس وخياطة وغير ذلك ومنها التعفف عن ذل السؤال والاحتياج إلى الغير وشرط المكتسب أن لا يعتقد الرزق من الكسب بل من الرزاق ذي القوة^(١) .

الرزق يعرف صاحبه :

ثم بعد السعي في طلبه عليه ان يطمئن إلى أن رزقه المقسوم له سيأتيه من هذا السبب أو من غيره وهذا هو الجمع بين الأخذ بالأسباب وعدم الركون إليها أو الاتكال عليها في الحصول على الرزق .
وتحضرني في هذا قصة عروة ابن أذينة:

وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا إليه فقره فقال : ألسنت القائل : لقد علمت وما الإسراف من خلقي . . . أن الذي هو رزقي سوف يأتيني أسعى إليه فيعيبني تطلبه . . . وإن قعدت أتانى ليس يعيبنى وخرجت الآن من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، وعظت فأبلغت . وخرج وركب ناقته وكر إلى الحجاز راجعاً ، فلما كان الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة وقال : رجل من قريش قال حكمة ووفد علي فرددته خائباً . فلما أصبح وجه إليه بألف دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة فأعطاه المال فقال : أبلغ عني أمير المؤمنين السلام ، وقل له : كيف رأيت قلبي ، سعت فأكديت ، فرجعت خائباً ، فجلست في داري فأتاني رزقي في منزلي^(٢) .

فالمطلوب من الانسان هو السعي وليس تحصيل الرزق فإن تحصيل الرزق بيد الله وحده فإن الانسان يجهل من اين يحصل على رزقه "وما تدري نفس ماذا

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير - (٥ / ٤٢٥) ..

(٢) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس - (١ / ٧٧) ..

تكسب غدا" والرزق يعرف مكان الانسان ويذهب اليه ولقد صدق القائل:

تحر إلى الرزق أسبابه ولا تشغلن بعدها بالك
فإنك تجهل عنوانه ورزقك يعرف عنوانك

وتصديق ذلك قول النبي "ص" « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله »^(١).
وقوله صلى الله عليه وسلم : «لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت»^(٢).

وقد عبر عن هذه المعاني من قال:

المرء يسعى، ويسعى الرزق يطلبه ورُبما اختلَفَا في السَّعيِ وَ الطَّلَبِ
حتى إذا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ جَمْعَهُمَا لِلاتِّفَاقِ أَتَاهُ الرِّزْقُ عَنْ كَثَبٍ^(٣)

إن من مظاهر رحمة الله تعالى بالإنسان - وهو لايملك رزقه، ولايعلم على وجه القطع مكانه، وزمانه - أن جعل رزقه ملازماً له لا ينفك عنه، فهو نصيبه المقدر المحدد الذي لا بد أن يستوفى كاملاً غير منقوص مدة حياة صاحبه، ولا يتوقف إلا حين تتوقف حياة صاحبه. قال ﷺ : « أيها الناس اتقوا الله، وأكملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأكملوا في الطلب، خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حُرِّم »^(٤).

(١) أخرجه ابن حبان في الصحيح (٣١/٨ رقم ٣٢٣٨ - إسان) وقوى إسناده محققه. ورواه أيضاً البزار (كشف الأستار ٨٢/٢ برقم ١٢٥٤) .

(٢) أخرجه أبونعيم في الحلية (٩٠/٧، ٢٤٦) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣٥/٢) رقم (٩٥٢).

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر (١٤٣/١).

(٤) أخرجه ابن ماجة في السنن (٩/٣ رقم: ٢١٤٤) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٦/٢ رقم: ١٧٤٣). وانظر التوكل على الله (٨٩) لابن أبي الدنيا.

الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، ولو أن أحدكم فرّ من الرزق كما يفر من الموت، لأدرکه كما يدركه الموت خرجت أعرابية يوماً على أعراب، فوجدتهم منكسي رءوسهم بسبب أنهم زرّعوا زرعاً، فأصابته جائحة فحزنوا من أجله، فقالت تخاطبهم: مالي أراكم قد نكستم رءوسكم، وضافت صدوركم؟ هو ربنا، والعالم بنا، ورزقنا عليه يأتينا به حيث شاء، ثم أنشدت تقول:

لَوْ كَانَ فِي صَخْرَةٍ فِي الْبَحْرِ رَاسِيَةٌ	صَمَاءٌ مُلْمَلَةٌ مُلْسًا نَوَاحِيهَا
رِزْقٌ لِنَفْسٍ بَرَاهَا اللَّهُ لَا نَفَلَتْ	حَتَّى تُؤَدِّيَ إِلَيْهَا كُلَّ مَا فِيهَا
أَوْ كَانَ بَيْنَ طَبَاقِ السَّبْعِ مَسْلُكُهَا	لَسَهَّلَ اللَّهُ فِي الْمَرْقَى مَرَاقِيَهَا
حَتَّى تَنَالَ الَّذِي فِي اللَّوْحِ خُطُّ لَهَا	إِنْ لَمْ تَنْلُهُ وَإِلَّا سَوْفَ يَأْتِيَهَا ^(١)

الرزق ليس بالذكاء، والحرمان منه ليس بضده:

والرزق في تقدير الله تعالى له - كثرة أو قلة - لا يكون بحسب ملكات الناس أو علمهم، أو نبلمهم أو نسبهم، أو ذكائهم أو حنكتهم، أو بحسب جهلهم أو غبائهم، أو حسبهم أو وضاعة أنسابهم، ولكن الرزق هو عطاء الله لخلقه أجمعين، لا فرق بين عالم أو جاهل، أو ذكي أو غبي، أو صغير أو كبير، أو شريف أو حقير، أو معافى أو مريض، بل لا فرق بين كافر أو مسلم، أو طائع أو عاص؛ لأن الله تعالى هو خالق خلقه أجمعين، فهو رازقهم، إذ من لوازم الخلق الرزق، وليس واجباً على الله تعالى أن يرزق خلقه، ولكن رحمته وسعت كل شيء، والرزق من مظاهر رحمته تعالى.

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلكن إذاً من جهلهن البهائم ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد ولا المجد في كف امرئ والدراهم

(١) تفسير القرطبي: (٤٣/١٧).

يقول الامام الشافعي:

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني
لكن من رزق الحجا حرم الغنى
وأحق خلق الله بالهم امرو
ومن الدليل على القضاء وحكمه
وقال عبّاد التميمي:

والغيث يحرمه أناس شغب
والرزق يخطي باب عاقل قومه
ويبيت يهطل في بلاد جلق
ويبيت بواباً لباب الأحمق^(١)

ثم بعد هذا السبب المادي المباشر تأتي الأسباب المعنوية المتعلقة بقوة الإيمان بالله، وصدق التوكل عليه، والالتزام بأوامره، واجتناب نواهيه فمع أن الشارع أمر المسلم باتخاذ الأسباب المادية في الكسب فإنه لنا أن أسباب الرزق أعم وأشمل من الأسباب المادية فهي مرتبطة بأمر أخرى : كالتقوى ، والصلاح والإقلاع عن المعاصي . وسؤال الله وحده وهي على التفصيل الآتي:

السبب الثاني: تقوى الله عز وجل:

ويقصد بها خشية الله واتباع أوامره ، وتجنب نواهيه ، والخوف من يوم الحساب .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٢)

(١) الدينوري في المجالسة (٣/١٦٩ رقم ٨٠٧).

(٢) (الأعراف آي:٩٦).

يقول القرطبي فجعل تعالى التقى من أسباب الرزق كما في هذه الآيات ،
ووعده بالمزيد لمن شكر فقال : ﴿ لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ ﴾^(١) ومن اتقى الله تعالى
جعل له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، قال
الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾^(٢)
وقد بينت هذه الآية الكريمة تكفل الله تعالى برزق المتقي من عباده في كل وقت
وحين ، وذلك دليل على شرف التقوى وشأنها عند الله تعالى .

يقول ابن تيمية :

وَقَدْ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْمُتَّقِيَ يَدْفَعُ عَنْهُ الْمَضَرَّةَ ، وَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ
لَهُ مَخْرَجاً مِمَّا ضَاقَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَجْلِبُ لَهُ الْمَنْفَعَةُ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَحْتَسِبُ^(٣) .

ويقول الطحاوي :

فقد ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجاً مما يضيق على الناس ، وأن
يرزقهم من حيث لا يحتسبون^(٤) .

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا :

وَالْمُتَّقِيَ يَكُونُ دَائِماً أَحْسَنَ حَالاً وَأَكْثَرَ اِحْتِمَالاً وَمَحَلّاً لِعِنَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ ،
فَلَا يُؤْلِمُهُ الْفَقْرُ كَمَا يُؤْلِمُ الْفَاجِرَ ، فَهُوَ يَجِدُ بِالتَّقْوَى مَخْرَجاً مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ ، وَيَجِدُ
مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ رِزْقاً غَيْرَ مُحْتَسَبٍ^(٥) .

(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان - (٦ / ٢٤١)

(٢) (الطلاق آية: ٢-٣) .

(٣) الفتاوى الكبرى - (٤ / ٤٦٦) .

(٤) شرح الطحاوية - ط دار السلام - (١ / ٢٦٩)

(٥) تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار - (٢ / ٢١٩)

وقد قيل لرجل من الفقهاء: من يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، فقال الفقيه: والله، إنه ليجعل لنا المخرج، وما بلغنا من التقوى ما هو أهله وإنه ليرزقنا وما اتقينا، وإنا لنرجو الثالثة، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً^(١).

والتقوى هي العز بلا عشيرة، والغنى بلا مال، والنصر بلا عون من البشر، والسؤدد والرفعة بلا قوة، والمعرفة بلا علم، وهي سفينة النجاة في كل طوفان، وهي سبيل الفوز في الدنيا والآخرة، وهي دليل المؤمنين على كل حال، فما اتقى الله تعالى إلا مؤمن. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢).

والتقوى شاملة لمعاني الخير كلها في الإنسان ظاهراً وباطناً، فالصبر على الحلال القليل من التقوى، قال الزجاج في تفسيره للآية ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٣) أي: إذا اتقى وآثر الحلال وتصبر على أهله فتح الله عليه إن كان ذا ضيقة، ورزقه من حيث لا يحتسب^(٤)، وفسر ابن عيينة الرزق في الآية بأنه البركة فيه^(٥). والآية الكريمة تشمل المخرج من كل شدة وضيق ظاهراً وباطناً، وتشمل الرزق بما يفسر به ظاهراً وباطناً.

المعاصي تضيق الرزق

وكما أن الطاعة تزيد الرزق وتكون سبباً في البركة فيه فإن

(١) حلية الأولياء ٢٤٨/٤.

(٢) سورة التوبة: (١١٩).

(٣) [الطلاق : ٢ ، ٣].

(٤) تفسير القرطبي (١٦١/١٨).

(٥) نفس المصدر.

إقتراف الذنوب بصفة عامة صغيرها وكبيرها تحقق البركة من الأرزاق . يقول الله عز وجل :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ (١) .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ (٢) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(إن العبد ليذنب الذنب فيحرم الرزق قد كتب له)

ويقول — صلى الله عليه وسلم — كذلك : (إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) (٣)، ويقول صلى الله عليه وسلم : (يا معشر المهاجرين خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتي يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم) (٤) .

(١) (الأنعام : ٦) .

(٢) (غافر - ٢١)

(٣) رواه ابن ماجة باب العقوبات ج ٢ ص ١٣٣٤ .

(٤) رواه ابن ماجة باب العقوبات ج ٢ ص ١٣٣٢ .

ذلك أن المعاصي والذنوب هي سبب البلايا والخزايا، والرزايا والمصائب، والمعائب والحرمان، والضعف والعسر، والذل، والهوان، فما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفِعَ إلا بالتوبة وطاعة الله تعالى. فالمعاصي والذنوب تنزل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فتزيل الحاصل، وتمنع الواصل، فإن نعم الله - ومنها: نعمة الرزق - ما حفظ موجودها بمثل طاعته - أي طاعة الله تعالى -، ولا استُجلبَ مفقودها بمثل طاعته، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته^(١).

وقد ضرب القرآن لنا كثيرا من الأمثلة التي تبين أن البطر والطغيان والظلم وكفران النعمة ومنع الزكاة سببا في زوالها . وقد بين لنا الله سبحانه في أكثر من موضع في كتابه ذلك .

فحكى لنا سبحانه عن قارون وطغيانه وبطره وجبروته وكيف كانت نتيجة هذا الخلق الذميم سلب الرزق بل الخسف والعذاب . قال تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ... ﴾^(٢).

فماذا كان جزاؤه؟

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾^(٣).

وحكى لنا سبحانه عن صاحب الجنتين من النخيل والأعناب لما طغى وكفر وتبطر كيف أهلك الله سبحانه جنتيه . قال تعالى ﴿ وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا

(١) الجواب الكافي لابن القيم (١١٤).

(٢) القصص ٧٦.

(٣) القصص ٨١.

لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا... ﴿١﴾
فكانت نتيجة هذا الكفر والبطر والطغيان هلاك وزوال النعمة عنه ، قال تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أُنْفِقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٢) .

وحكى لنا الله سبحانه قصة أصحاب الجنة الذين أقسموا وتشاوروا فيما بينهم أن يجنوا محصول بستانهم في الليل حتى لا يعطوا الفقراء شيئا فلا يراهم أحد . قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ (٣) .

وكان نتيجة اتفاقهم على عدم إعطاء الفقراء والمساكين حقهم وقسمهم وعدم الاستثناء في القسم أن سلب الله منهم هذه النعمة بهلاكها قال تعالى : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ (٤)

وهكذا فإن التقوى سبب بقاء النعمة ونمائها وبركتها، والمعاصي سبب زوالها ونقصها ومحقتها.

السبب الثالث: الاستغفار:

وعن الاستغفار وأثره في استجلاب الرزق ونمائه وزيادته فحدث ولا حرج؛ فقد جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تدل على أن الاستغفار من أسباب الرزق، وذلك دليل على أهميته وشأنه عند الله تعالى، وهو ديدن الملائكة الكرام، ورسَل الله جميعاً - عليهم الصلاة والسلام -، والصالحين من عباد الله

(١) الكهف ٣٢.

(٢) الكهف ٤٢.

(٣) القلم ١٧.

(٤) القلم ١٩، ٢٠.

تعالى في كل زمان ومكان، وهو يعني طلب المغفرة من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(١)، فهذه الآيات الكريمة تدل على أن الاستغفار سببٌ لحصول الأرزاق الوفيرة والخيرات الكثيرة: من ماطر متواصل مدرار نافع غير ضار، ومن الأسباب - للتمكين في الأرض بالأموال والبنين - ممّا جعله الله تعالى من أسباب القوة والظهور.

يقول صاحب "أضواء البيان"^(٢): وقد وعد المستغفرين بالرزق الكثير على لسان نبيّه نوح في قوله تعالى عنه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٣)، وعلى لسان نبيّه هود في قوله تعالى عنه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾^(٤)، وعلى لسان نبيّنا - صلى الله عليه وعليهما جميعاً وسلّم - : ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٥).

قال القرطبي مفسراً لهذه الآيات بأنها: "دليل على أن الاستغفار يُستنزّل به الرزق والأمطار، قال الشعبي: خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فأمطروا، فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح^(٦) السماء التي يستنزّل بها المطر، ثم قرأ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا

(١) سورة نوح: (١٠ - ١٢).

(٢) أضواء البيان - (٥١ / ٥٣١).

(٣) سورة نوح: (١٠ - ١٢).

(٤) هود: (٥٢).

(٥) هود: (١١).

(٦) المجاديح: أحدها مخدح وهه: نحم من النحمد، وهه عند العرب من الأتواء الدالة على المطر، فحمل الاستغفار مشبهاً بالآتواء مخاطبة لهم بما يعرفونه، لا قولاً بالأنواء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٢٤٣/١.

* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١﴾.

" وقد ربط بين الاستغفار وهذه الأرزاق. وفي القرآن مواضع متكررة فيها هذا الارتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله ، وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء.(١).

وليس معنى الاستغفار المقصود والمطلوب هو ترديد الاستغفار قولاً باللسان فقط، ولا حقيقة له بالجنان. قال بعض الصالحين: الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين(٢).

ويقول صاحب المفهم في شرح صحيح مسلم:

ولا شك في أن هذا الاستغفار ليس هو الذي ينطق به اللسان ، بل الذي يثبت معناه في الجنان ، فيحل به عقد الإصرار ، ويندم معه على ما سلف من الأوزار . فاذا الاستغفار ترجمة التوبة ، وعبرة عنها.. ، وأما من قال بلسانه : أستغفر الله ، وقلبه مصر على معصيته ، فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار ، وصغيرته لاحقة بالكبار إذ لا صغيرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع استغفار (٣).

بل الاستغفار المطلوب هو ما كان ترجمة صادقة باللسان عما استقر في القلب، والاستغفار بهذا مظهر من مظاهر العبودية لله تعالى، والافتقار إليه سبحانه.

(١) سورة نوح: (١٠-١١)، وانظر تفسير القرطبي (٣٠٢/١٨).

(٢) في ظلال القرآن - (٦ / ٣٧١٣).

(٣) تفسير القرطبي (٣/٩).

(٤) "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (٢٢ / ١٢٦)..

شكا رجلٌ إلى الحسن جدد بستانه، فقال له: استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر، فقال له: استغفر الله، وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولداً، فقال له: استغفر الله^(١). وفي هذا دليل بالغ على مدى إدراك سلفنا الصالح - رضي الله عنهم - لأهمية الاستغفار وشأنه عند الله تعالى، وأنه سبب من أسباب الرزق، وهذا الفهم منهم - رضي الله عنهم - قائم بناء على ما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ قال ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»^(٢).

ولا شك أن الأمة حين تدخل باب الاستغفار فإنها بذلك تقف على طريق العبودية لله تعالى والإجابة إليه، وذلك سبيل واسع إلى الخيرات والبركات، والقوة والتمكين، والحياة الطيبة الجميلة التي يحس فيها المؤمنون بمظاهر الكرامة والسعادة، ويحفظ فيها لكل ذي قدر قدره، ولكل ذي إبداع وجهد ثمرة إبداعه وجهده، فلا يحصد فيها لئيم ثمرة جهد كريم، ولا يتحكم فيها اللؤماء في رقاب ومصير الكرماء. قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾^(٣).

السبب الرابع: التوكل على الله:

والتوكل: تفويض الأمر إلى الله، والاعتماد على الله وحده، وعدم التعلق بالعباد؛ لأن الله قال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾^(٤) وهذه أبلغ من قوله: (فابْتَغُوا

(١) المصدر السابق (١٨/٣٠٢).

(٢) أخرجه أبوداود في السنن (١٧٨/٢ رقم ١٥١٨). وانظر جامع الأصول (٤/٣٨٩).

(٣) سورة هود: (٣).

(٤) [العنكبوت: ١٧].

الرزق عند الله)، أي: عنده لا عند غيره، التمسوه منه لا من غيره. التوكل على الله أن تفرغ قلبك من التعلق بالخلق، وتوكل أمرك الله، وترجو الفرج من الله، وتنتظر الرزق مع بذل الأسباب والأخذ بها .

عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا»^(١) . هذا الحديث أصل عظيم في التوكل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٢) وحقيقة التوكل هو اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار.

يقول ابن القيم:

لرزقكم كما يرزق الطير إخبار بأنه سبحانه يرزق المتوكلين عليه من حيث لا يحتسبون وانه لا يخليهم من رزق قط كما ترون ذلك في الطير فإنها تغدو من اوكارها خماصا فيرزقها سبحانه حتى ترجع بطانا من رزقه وانتم اكرم على الله من الطير وسائر الحيوانات فلو توكلتم عليه لرزقكم من حيث لا تحتسبون ولم يمنع احدا منكم رزقه هذا من قبيل الأخبار^(٣).

واعلم أن التوكل لا ينافي السعي في الأسباب، إن الطير تغدو في طلب رزقها وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٤) .

(١) الترمذي باب في التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ج ٩ ص ١٤٦

(٢) [الطلاق: ٢، ٣]

(٣) جلاء الأفهام - (١ / ٢٨٧)

(٤) [هود: ٦]

كان يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له.

"توكل، تساق إليك الأرزاق بلا تعب ولا تكلف"^(١).

وقيل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟

فقال: من عند الله.

فقيل له: الله ينزل لك دنائير ودراهم من السماء؟

فقال: كأن ماله إلا السماء! يا هذا: الأرض له، والسماء له، فإن لم يؤتني

رزقي من السماء، ساقه لي من الأرض. ثم أنشد:

وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ وَاللَّهُ رَازِقِي وَرَازِقُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

تَكْفُلُ بِالْأَرْزَاقِ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ وَلِلضَّبِّ فِي الْبَيْدَاءِ وَالْحُوتِ فِي الْبَحْرِ^(٢)

وعن جابر عن النبي ﷺ «لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله

وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم»^(٣) وقال النبي ﷺ «المؤمن

القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما

ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان

كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(٤).

ودين الإسلام دين التوكل لا التواكل، ودين السعي لا الخمول.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوكل على الله (٩٠ رقم ٥٣) ومن طريقه الخطيب في تاريخ بغداد (٤٠٣/١٤).

(٢) تفسير القرطبي: (٧/٩). وانظر المجالسة للدينوري (٤/٢٥٥ رقم ١٦١٧).

(٣) رواه ابن ماجه باب الاقتصاد في طلب المعيشة ج ٦ ص ٤٤٩.

(٤) محاسن الدين على متن الأربعين ٤٥٤ وانظر جامع العلوم والحكم والحديث رواه مسلم باب في الأمر بالقوة وترك العجز والإستعانة بالله وتفويض المقادير لله ج ٤ ص ٢٠٥٢.

قال عمر رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول اللهم أرزقني؛ فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة^(١).

إنَّ الله تعالى حين بيَّن لخلقه أنَّ أمر الرزق بيده سبحانه لم يدعهم ينتظرون أن تمطرهم السماء ذهباً ولكنه — عز وجل — دعاهم إلى تلمس أسباب الرزق المبتوثة في كونه الفسيح وتعبدهم بذلك تربية لهم على طريق العبودية له جلَّ جلاله، ومن ثم أمرهم بالتوكل عليه لا على الأسباب، إنَّ التوكل على الله تعالى في هذا الأمر من علامات الإيمان، والمنهج الإسلامي الرشيد الفريد يجعل من الرزق وتلمس أسبابه مدرسةً عالية، يتربى من خلالها المسلمون على معانٍ جليلة في التوكل لا التواكل.

وما ينبغي أن يعلم، ما قاله طائفة من العلماء، وهو: أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب تكون أسباب نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ومعنى التوكل والرجاء يتألف من وجوب التوحيد والعقل والشرع^(٢).

السبب الخامس: الصلاة:

إن المحافظة على الصلاة هو أعظم سبب لتحصيل الرزق الحسن، وإن كل رزق يأتي عن تضييع الصلاة إنما هو رزق مبتور عن كل بركة وعن كل خير. لقد قرن الله عز وجل بين العبادة والرزق فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٢٠ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ٢١ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٢٢ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، فخضوعك تحت راية العبودية هو السبب المباشر لنيل الرزق.

(١) الإحياء ٧١/٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٥٢٠).

وأهم مظاهر العبودية التي تحقق لك ذلك الصلاة، انظر كيفي ربط الرزق بالصلاة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۖ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢].

قال ابن كثير في تفسيره: يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب^(١).

وقال القرطبي: أي لا نسألك أن ترزق نفسك وإياهم وتشتغل عن الصلاة بسبب الرزق، بل نحن نتكفل برزقك وإياهم، فكان عليه السلام إذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة^(٢).

وكان ﷺ إذا أصابت أهله خصاصة قال: «قوموا إلى الصلاة»^(٣)، وكان الأنبياء - عليهم السلام - إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة^(٤).

فانظر كيف بين الله أن الرزق الحسن لا طريق إليه إلا إقام الصلاة والصبر عليها وأمر الأهل بها، الصلاة خاصة دون جميع العبادات الأخرى، لأنها الشفاء الوحيد من وباء المغريات وداء الملذات التي تصد عن الله.

وقال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أُنَىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

(١) تفسير ابن كثير (١٧١/٣).

(٢) تفسير القرطبي (٢٦٣/١١).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٧٢/١) رقم ٨٨٦) من حديث عبد الله بن سلام، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٧/٧): "رجاله ثقات". وأعله العراقي في المغني (١١٢٤/٢) بالانقطاع في إسناده.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٤٢/٧) برقم ١٣٥٩٣) عن ثابت البناني مرسلًا.

(٤) أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٤٣/٧) برقم ١٣٥٩٧) عن ثابت البناني موقوفًا.

حِسَابٍ^(١)، فلولا صلاة مريم في المحراب ومداومتها عليها لما نالت هذا الرزق الذي دهش له نبي الله زكريا.

لقد أدرك زكريا هذه الحقيقة وأن الصلاة سبيل الرزق الحسن، فقال تعالى: ﴿هَٰذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(٢).

كيف رزقه الله تعالى يحيا؟ وأين بشره بذلك؟

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣)، فلم يرزقه بولد كسائر الأولاد، بل لأجل صلاته رزقه سيِّداً حصوراً نبياً من الصالحين.

فقصة مريم بشرى لكل من قدر عليه رزقه فعاش فقيراً من المال، وقصة زكريا بشرى لكل من حُرِمَ الولد فعاش عقيماً، فليحرص هذا وذاك على صلاته، وليصبر عليها يكرمه الله تعالى بالأموال والأولاد اللذين يعتبران زينة هذه الحياة إذ قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾^(٤).

فما دامت الصلاة هي التي تجلب المال المبارك والولد المبارك فمن العيب أن يشغلك المال والولد عن ذكر الله، والصلاة أعظم مظهر لدين الله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران: ٣٨.

(٣) سورة آل عمران: ٣٩.

(٤) سورة الكهف: ٤٦.

(٥) سورة [المنافقون]: ٩.

وقال بعض العلماء: لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل، فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما كتب الله لك^(١).

والعبد المصلي يتعرض لنفحات الله تعالى وعطاياه، ويطلق بصلاته أبواب رحمته وفضله وإحسانه، وقمن بمن آدام قرع هذه الأبواب أن يلجها، فالصلاة بهذه المعاني وسواها باب واسع من أبواب الرزق.

" فالصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للداء، مقوية للقلب، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، مبيضة للوجه، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة للشيطان، مقربة من الرحمن، وبالجملة فلها تأثير عجيب في حفظ صحة القلب والبدن وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما، سيما إذا وفيت حقها من التكميل. فما استدفعت أذى الدارين واستجلبت مصالحهما بمثلها، وسرها أنها صلة بين العبد وربّه، وبقدر الوصلة يفتح الخير وتفاض النعم وتدفع النقم.^(٢) ومن الدلالات الظاهرة في القرآن على أن إقامة الصلاة من أبواب الرزق الواسعة: مجيء ذكر إقام الصلاة مقترناً بإيتاء الزكاة، بياناً بأن من أقام الصلاة فهو مبشّر بتيسير رزقه حتى يصبح ممن يدفعون الزكاة، وفضل الله واسع.

ومما تجدر الإشارة إليه أن إقام الصلاة - وليس أدائها - هو الباب الواسع من أبواب الرزق، ولا شك أن ثمة فرقاً كبيراً بين إقام الصلاة وبين أدائها، وإقام الصلاة من أشرف العبادات عند الله تعالى، فهي الركن الثاني بعد الشهادتين، وهي التي تدل على إسلام العبد وإيمانه، وهي ميدان تكرم فيه نفس المصلي بين يدي الله بكثرة مناجاته والسجود له سبحانه، ومن كرمته نفسه بالصلاة نتج عن

(١) الإحياء (٤/٢٤٥).

(٢) فيض القدير - (ج ٤ / ص ٦٨٩).

ذلك كرم يديه بالبذل والعطاء. قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ (١) وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٢) وقال جل من قائل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (٣).

السبب السادس: عبادة الله تعالى:

إن عبادة الله تعالى - التي هي ثمرة معرفته وتوحيده - سببٌ واسع من أسباب الرزق بنص قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٤)،

فالله جل جلاله لم يكلف خلقه رزق أنفسهم، أو رزق غيرهم، ولكنه كلفهم عبادته وتوحيده، وهو سبحانه متكفل برزقهم.

إن هذا النص القرآني الكريم يوضح حقيقة كبرى من حقائق الوجود والخلق: وهي أن الجن والإنس قد خلقوا لغاية عظمى، هي عبادة الله تعالى، وهذه الغاية لا تستقيم حياة البشر في الأرض بدون إدراكها، واستيقانها سواء كانت حياة فرد أم جماعة، أم حياة الإنسانية كلها في جميع أدوارها وأعصارها (٥).

(١) سورة الأنفال: (٣).

(٢) سورة المؤمنون: (١ - ٤)

(٣) سورة المعارج (١٩ - ٢٣).

(٤) سورة الذاريات: (٥٦ إلى ٥٨).

(٥) في ظلال القرآن، (٢٧/٣٣٨٦-٣٣٨٧).

يقول سبحانه: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ أي: اطلبوا الرزق من الله سبحانه وتعالى، فإن الله قريب مجيب لمن دعاه، ولا تطلبوا الرزق من الأوثان التي لا تملك شيئاً ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ هذا فيه توجيه من الله سبحانه وتعالى لعباده أن لا يطلبوا الرزق من غيره، وأن يعبدوه ولا يعبدوا غيره، فإنهم إذا عبدوه رزقهم، كما قال تعالى: " ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالنَّاسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾ ، فالرزق إنما يُسْتَجَلَبُ بعبادة الله سبحانه وتعالى، وأما المعاصي فإنها تسبب منع الرزق، فما يحصل في الأرض من المجاعات ومن شحّ الأرزاق إنما سببه الكفر والمعاصي، وما يحصل في الأرض من خيرات وأرزاق فسببه الطاعة والعبادة إلا أن يكون استدراجاً.

يقول الله تعالى عن فتية أهل الكهف الذين اختاروا عبادته سبحانه: ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي وإذ اعتزلتم أيها الفتية قومكم وما يعبدون من الأوثان ، اعتزلتم قومكم غير الله تعالى: ﴿فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي التجأوا إلى الكهف. ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي يبسط ربكم ويوسع عليكم رحمته. ﴿ويهيء لكم من أمركم مرفقا﴾ أي يُسهل عليكم أسباب الرزق ، وما تترفقون به من الطعام والشراب في هذا الغار. (١)

وحتى في الحج جعل الله الابتغاء من فضله بالبيع والشراء عبادة . وقد نزلت إباحة البيع والشراء والكراء في الحج ، وسماها القرآن ابتغاء من فضل الله :

«لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ» ..

(١) صفوة التفاسير – للصابوني - (٢ / ١٤٧).

ليشعر من يزاولها أنه يبتغي من فضل الله حين يتجر وحين يعمل بأجر وحين يطلب أسباب الرزق : إنه لا يرزق نفسه بعمله. إنما هو يطلب من فضل الله ، فيعطيه الله. فأحرى ألا ينسى هذه الحقيقة وهي أنه يبتغي من فضل الله ، وأنه ينال من هذا الفضل حين يكسب وحين يقبض وحين يحصل على رزقه من وراء الأسباب التي يتخذها للارتزاق. ومتى استقر هذا الإحساس في قلبه ، وهو يبتغي الرزق ، فهو إذن في حالة عبادة لله ، لا تتنافى مع عبادة الحج ، في الاتجاه إلى الله .. ومتى ضمن الإسلام هذه المشاعر في قلب المؤمن أطلقه يعمل وينشط كما يشاء .. وكل حركة منه عبادة في هذا المقام.

ولما كان الرزق هو الشيء الذي لا يختلف على الاهتمام به اثنان من الناس، فهو محور ارتكاز اهتمامهم جميعاً، جاء هذا القول الكريم من كلام ربنا — عز وجل — في كتابه المعجز حاسماً وقاطعاً بتكفل الله تعالى برزق خلقه؛ لأنه ربما سأل سائل: إذا كان الجن والإنس قد خلقوا لعبادة الله تعالى، فكيف يكون رزقهم الذي به قوام حياتهم؟ فجاء قول الله تعالى مبيناً كفايته سبحانه في أمر الرزق لمن عبده، ولم يشغل عنه بشيء سواه، فالذي له حق العبادة هو القادر على كفاية خلقه برزقهم. فالله تعالى هو الخالق الرزاق لا غيره

والله تعالى حرر عباده المؤمنين من العبودية والذل لغيره، فجعل عبادتهم له، وتكفل برزقهم؛ لأنه جل جلاله هو الرزاق ذو القوة المتين، فمن أبصر هذه الحقيقة وسار على هديها، رأى آثارها في حياته: تيسيراً في الرزق، وعزة وكرامة في النفس، وراحة في الضمير، ومن عمي عنها فسيلقى آثار ذلك: تعاسة ومذلة للآخرين، وعسراً في حياته ورزقه، والله المستعان.

فدل ذلك بوضوح على أن عبادة الله تعالى من أسباب الرزق الواسعة (وقد ورد في بعض الكتب الإلهية: يقول الله تعالى: (ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب،

وتكفلت برزقك فلا تتعب. فاطلبنى تجدني، فإن وجدتنى وجدت كل شيء، وإن فُتُك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء^(١).

أما كيف تكون عبادة الله تعالى من أسباب الرزق الواسعة؟ فذلك أمر يحتاج إلى فقه في حركة الحياة سابقاً وحاضراً، ومعرفة واسعة لمدى ارتباط القيم الإيمانية بالحياة، وتأثيرها في هذه الحياة تأثيراً مباشراً، وإلى جهد مبذول لا يتوقف في تربية النفس على طريق الإيمان بالله تعالى، والعبودية له سبحانه، لتبصر النفس عندئذ حقائق القرآن مرتبطة بحقائق الوجود، وليس معنى العبادة هو فقط أداء شعائر الإسلام الظاهرة، ولكنه بالإضافة إلى ذلك تحقيق معنى العبودية الشامل لله تعالى في شتى مظاهر الحياة، إذ ليس في الكون كله إلا إله يعبد، وما سواه عبيد له، فيجب له سبحانه كمال الذل والخضوع مع كمال الحب، ومن شأن ذلك أن يفجر في نفس العابد الطاقات والإمكانات المبدعة، فيتحرك نحو أهدافه بخطى ثابتة غير مضطربة، متلمساً أسباب الرزق، مستعيناً بالله تعالى، وذلك مدعاة لتيسير الرزق بإذن الله سبحانه

والله سبحانه ضمن الرزق لمن عبده، والنصر لمن توكل عليه واستنصر به، والكفاية لمن كان هو همه ومراده^(٢).

وحقيقة العبادة تتمثل في أمرين رئيسين:

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس . أي استقرار الشعور على أن هناك عبداً ورباً . عبداً يعبد ، ورباً يعبد . وأن ليس وراء ذلك شيء ؛ وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار . ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود ؛ وإلا رب واحد والكل له عبيد .

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٨).

(٢) انظر الفوائد لابن القيم (١٦٨).

والثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير ، وكل حركة في الجوارح وكل حركة في الحياة . التوجه بها إلى الله خالصة ، والتجرد من كل شعور آخر ؛ ومن كل معنى غير معنى التعبد لله .

والقرآن يغذي هذا الإحساس ويقويه . بإطلاق مشاعر الإنسان من الانشغال بهم الرزق ومن شح النفس . فالرزق في ذاته مكفول . تكفل به الله تعالى لعباده . وهو لا يطلب إليهم بطبيعة الحال أن يطعموه - سبحانه - أو يرزقوه . حين يكلفهم إنفاق هذا المال لمحتاجيه ، والقيام بحق المحرومين فيه: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ . ﴿

وإذن: لا يكون حافز المؤمن للعمل وبذل الجهد في الخلافة هو الحرص على تحصيل الرزق . بل يكون الحافز هو تحقيق معنى العبادة ، الذي يتحقق ببذل أقصى الجهد والطاقة . ومن ثم يصبح قلب الإنسان معلقا بتحقيق معنى العبادة في الجهد ، طليقا من التعلق بنتائج الجهد . . وهي مشاعر كريمة لا تنشأ إلا في ظل هذا التصوير الكريم.

السبب السابع: صلة الرحم:

ومن أسباب الرزق الشرعية: صلة الرحم، والرحم هم أقرباء الرجل من جهة أبيه وأمه.

وصلة الرحم هي: الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال، وبذل الأموال. وقال ابن أبي جمرة: "تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء. والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة" ^(١). ولقد جاءت البشرية على لسان النبي ﷺ بالتوسعة على الواصل لرحمه في الرزق، والزيادة في العمر، فقال ﷺ: « من

(١) فتح الباري (١٠/٤١٨).

سرّه أن يُبَسِّطَ له في رزقه، وأن يُنْسَأَ ^(١) له في أثره، فليصل رَحِمَهُ « ^(٢)، وهذا حديث عظيم يدل على فضل وشأن صلة الرحم وأثرها الفاعل في حياة صاحبها؛ ولهذا بوب البخاري - رحمه الله - فقال: باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم.

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: "من ضمن لي واحدة ضمنت له أربعاً: من وصل رحمه: طال عمره، وأحبه أهله، ووُسِّعَ له في رزقه، ودخل في رحمة ربه" ^(٣).

فهذه صلة الرحم بما فيها من هذا الفضل العظيم، حتى لو كان الإنسان فاسقاً، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليَكونوا فَجَرَةً -مقيمين على معاصٍ- فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا) ^(٤).

فإذاً: عليك بصلة الرحم، تصل الأقارب وتزورهم، تعين محتاجهم، تهديهم، وتعودهم، وجميع أنواع الصلات سبب لمجيء الرزق إليك، ولو كانوا على البُعد، فلن يخلو الأمر من وسيلة للصلة.

والمسلم النابه الذي نور الله بصيرته لا يقطع رحمه من أجل دنيا، أو مال، بل يصل رحمه لأنه بذلك يصل ما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ أن يوصل، فهو يتعبد

(١) نَسَأَ (الشيء) ينسأ نَسْأً: أخره، ويقال: نسأ الله في أجله . المعجم الوسيط (٢/٩١٦).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٥ / ٢٢٣٢ رقم ٥٦٣٩) من حديث أبي هريرة، وفي

(٢/٧٢٨ رقم ١٩٦١) من حديث أنس بن مالك)، و مسلم في الصحيح (٤ / ٩٨٢ رقم

٢٥٥٧) من حديث أنس . وانظر: فتح الباري (١٠/٤١٥ - ٤١٦) فقد استوفى ابن حجر

أحاديث الباب وذكر طرقها.

(٣) بر الوالدين لأبي بكر الطرطوشي (١٧٤). وانظر: فتح الباري (١٠/٤١٥ - ٤١٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه ٤٢١١.

الله بهذه الصلة، ومن أجل ذلك فهو يتسامى عن السفاسف ومحقرات الأشياء، ويحمل نفسه على ما لا تحبه أحياناً عبودية لله تعالى وطاعة ومحبة له سبحانه، فالدنيا والمال وسواهما مما يتعلق بهما هي أشياء زائلة، وهي ليست غاية المسلم، بل غايته وهدفه مرضاة الله تعالى، ومرضاة رسوله ﷺ ولذلك فإن المسلم يَصِلُ رحمه ولا يقطعها؛ لأنه يعلم قبل غيره أن من آثار قطعها الإفساد في الأرض، مما يترتب عليه الطرد من رحمة الله تعالى، والحرمان من نور هدايته وهو يدرك معنى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ﴾^(١). قال ابن كثير في تفسيره: (وهذا نهى عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال)^(٢).

السبب الثامن: الإنفاق في سبيل الله:

فمتى ما أنفقت من مالك كان ذلك سبباً لكثرتك، وهذه قاعدة صحيحة في باب الرزق، كلما أخرجت زاد المال، لا كما يظن الماديون أنهم ينقص إذا أخرج زكاته أو تصدق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٣).

قال الرازي :

قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ يحقق معنى قوله عليه الصلاة والسلام : (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان ، يقول أحدهما

(١) سورة محمد: (٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١٧٨/٤).

(٣) سورة سبأ آية ٣٩.

اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً ^(١) وذلك لأن الله تعالى ملك على وهو غني ملى ، فإذا قال أنفق وعلى بدله فبحكم الوعد ينجزه ، كما إذا قال قائل : ألق متاعك في البحر وعلى ضمانه ، فمن أنفق فقد أتى بما هو شرط حصول البديل فيحصل البديل ، ومن لم ينفق فالزوال لازم للمال ولم يأت بما يستحق عليه من البديل فيفوت من غير خلف وهو التلف. ^(٢)

فالإنفاق خير للعبد من الإمساك :

أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أكرمكم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبديل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب.

ولذا لما أمر الله - عز وجل - بالإنفاق في سبيل الله قال بعد ذلك: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٣) إن وعد الشيطان لابن آدم بالفقر ليس شفقة عليه، وليس نصيحة له، وأما الله - عز وجل - فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه، وفضلاً بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه، إما في الدنيا أو في الدنيا والآخرة، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً ^(٤)، ولا شك أن دعاء الملائكة مستجاب. وقال ﷺ: « السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٢٢/٢ رقم ١٣٧٤)، ومسلم في الصحيح (٧٠٠/٢ رقم

١٠١٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٢٥ / ٢٢٨).

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٨.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (٢٢/٢ رقم ١٣٧٤)، ومسلم في الصحيح (٧٠٠/٢ رقم

١٠١٠) من حديث أبي هريرة.

الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار» ^(١) أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالا. ولما كان الشح غريزة في الإنسان، فقد كان دائماً يبحث عن المردود المقابل لما يعطيه، وينفقه. وجاء الإسلام العظيم يهذب من غريزة الشح في الإنسان ولا يتركها تطفئ حتى تهلكه، وجاء الوعد الإلهي الكريم في القرآن العظيم للمنفقين بالإخلاف عليهم بالزيادة لهم في أموالهم وحصول البركة فيها، وبوعدهم بالثواب العظيم لهم في الآخرة حتى يقبلوا على الإنفاق في سبيل الله، وتطيب نفوسهم بذلك، ومن شأن ذلك أن يجعلهم مسارعين بالإنفاق في سبيل الله غير بخلاء بأموالهم.

وقد راعى الإسلام العظيم في الإنسان حبه للمال، فجاءت آيات كريمة في القرآن الكريم تحث على الإنفاق، وجاء الوعد الإلهي للمنفقين بالمغفرة والرحمة والسعة، والإخلاف بالزيادة والخير العميم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٢)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ^(٣)، وقال جل من قائل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٤)، وقال عز

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٣٠٢/٤ رقم ١٩٦١) من حديث أبي هريرة وقال: هذا حديث غريب اهـ. وذكر أنه يروى عن عائشة بإسناد فيه انقطاع.

(٢) سورة البقرة: آية (٢٦٢).

(٣) سورة سبأ: (٣٩).

(٤) سورة البقرة: (٢٦١).

من قائل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾^(١) وغير ذلك من آيات كريمة كثيرة، وهو أمرٌ يدل على شأن الإنفاق في سبيل الله، ولذلك جاء حديث القرآن عنه شاملاً كاملاً واضحاً في أحواله المختلفة، كما بين القرآن دقائق هذا الموضوع وأصوله وفروعه وكثيراً من متعلقاته.

ومن خلال ما تقدم من النصوص المختارة من القرآن الكريم والسنة النبوية - والنصوص كثيرة في الموضوع - يتضح لنا أنَّ الإسلام عمل على تضيق دائرة البخل والنشح في نفوس أتباعه إلى أقصى درجة، وأصبح المسلمون - بناء على ذلك - يدركون أن في الإنفاق الإخلاف من الله تعالى، وأن المبدول من المال مخلوف، وأن المخلوف به أبرك من المبدول؛ لأن المخلوف به عوضٌ عن محبة، فهو جزاء امتثال العبد المنفق أمر ربه - عز وجل - فبذل المسلمون أموالهم وأنفقوها في سبيل الله راضية بذلك نفوسهم، ومنشركة به صدورهم، فبارك الله في حياتهم وأموالهم، وأخلف عليهم بكل خير، والملاحظ في هذا الأمر أن أهل الإنفاق في سبيل الله موسع عليهم في أرزاقهم، وأن أبواب الرزق أمامهم مُفَتَّحة، وأسبابه لهم ميسرة. والإسلام كلُّ متكامل في أحكامه، وتشريعاته، وآدابه، وتوجيهاته، وهذه وسواها يكمل بعضها بعضاً، ولا ينفصل فيها الجانب الاقتصادي عن الجانب العقدي، أو التشريعي، أو الاجتماعي، أو التربوي، أو غيرها من الجوانب التي تصب في دائرة بناء الشخصية الإسلامية التي ترى أن الإنفاق في سبيل الله تعالى جزء منها، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

(١) سورة الأنفال: (٦٠).

السبب التاسع: الجهاد في سبيل الله:

ومما لا شك فيه أن الجهاد في سبيل الله من أبواب الرزق الواسعة، فالله تعالى يفتح على عباده المجاهدين بما يشاء من الخيرات، والأرزاق المختلفة بما لم يكن يخطر على بال أحد، عطاءً من الله تعالى ورزقاً، والقرآن الكريم يوجه المسلمين إلى أن الجهاد في سبيل الله تعالى - بما ينشأ عنه من مغام متنوعة - باب واسع من أبواب الرزق، وبناء على ذلك فقد وجه القرآن الكريم المسلمين إلى ضرورة الاهتمام بأمر الغنائم التي تنجم عن جهادهم في سبيل الله تعالى، وأهمية تنظيمها، ومعرفة أحكامها، وبيان أبوابها، ومستحقّيها، وذلك من خلال وجود (فقهاء) متخصصين في فقه الغنائم. يقول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١) الآية، ويجيء إلى جانب القرآن الكريم في بيان شأن الجهاد - وأنه من أبواب الرزق الواسعة - قولُ النبي ﷺ: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَمْحِي»^(٢) ليدل على شأن الجهاد في تيسير الرزق، وذلك أن ما يغنمه المجاهدون لا يقع تحت حصر. فهو يشمل المال، والحيوان، والأرض، ومعادنها، وأنواع الرزق المختلفة. سبحانه الله الرزق الذي يظن كثير من الناس أنه هنا أو هناك أو أنه بيد فلان أو فلان فيحسم -عليه الصلاة والسلام- القضية بأنه رزقه تحت ظل رمحه، وهذا ليس خاصاً بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بل هو عام والمعنى بأن المسلمين الحقيقيين لا يشتغلون بالدنيا عن الجهاد في سبيل الله بل يجاهدون ويحاربون ويستعدون لهذا الأمر والله -جل وتعالى- يرزقهم من عدوهم.

(١) سورة الأنفال: (٤١).

(٢) سبق تخريجه في (٦٧).

السبب العاشر: الذكر والدعاء والشكر:

أقصد به ذكر الله على كل الأحوال والدعاء الخالص بالرزق الحلال الطيب فإن هذا من مفاتيح البركة في الأرزاق .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ، لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١)

ويقول الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

لقد دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه بأن يرزق أهله من الثمرات، فقال كما ورد في القرآن الكريم : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣)

والدعاء سبب من أسباب الرزق:

فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٤) فقد أمر بالدعاء وتكفل بالإجابة إذا لم يمنع من ذلك مانع من معصية الله بترك واجب أو فعل محرم أو أكل حرام أو لبسه أو استبطاء الإجابة تقول: يا رزاق ارزقني وأنت خير الرازقين، اللهم إني أسألك رزقاً طيباً واسعاً يا

(١) سورة النور: ٣٦-٣٧-٣٨.

(٢) سورة الجمعة : ١٠).

(٣) سورة (إبراهيم : ٣٧).

(٤) سورة غافر، الآية ٦٠.]

من لا تغيض خزائنه مع كثرة الإنفاق، اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك، اللهم فنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني قال ﷺ: «قد أفلح من أسلم ورزق كافاً وقنعه الله بما آتاه»^(١) رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن عبدالله بن عمرو ورمز السيوطي لصحته.

والشكر لله تعالى أيضا من أسباب الرزق

فإن من أعطي الشكر فقد أُعطي الزيادة بنص قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٢) فالشكر بهذا باب الزيادة الواسع ومقام الشكر وشأنه عظيم عند الله تعالى، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: (ولما عرف إبليس قدر مقام الشكر، وأنه من أجل المقامات وأعلاها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال: ﴿ثُمَّ لَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٣) (٤)، ولِعَظَمَ مقام الشكر فقد أخبر الله تعالى أنه إنما يعبد من شكره، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته^(٥) فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٦)).

وقابل القرآن بين الشكر والكفر^(٧)، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ

(١) ابن ماجه ٣٣٥٥.

(٢) سورة إبراهيم: (٧).

(٣) سورة الأعراف: (١٧).

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (١١٧).

(٥) نفس المصدر ص (١١٨).

(٦) سورة البقرة: (١٧٢).

(٧) عدة الصابرين: (١١٧).

فَضْلَ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿١﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢).

“وكثرة الآيات تدل على ما أعارته حكمة التنزيل لهذا الموضوع من اهتمام، كما هو المتبادر. والمتبادر أن إيجاب شكر الله على الإنسان وعلى المسلم من باب أولى على ما أنعمه عليه من نعمه المتنوعة، ينطوي على جعله يستشعر بواجبه نحو ربه فيتقيه بصالح العمل واجتناب سيئه حتى تدوم عليه نعمه، وينطوي في هذا بالتبعية قصد إصلاحه، وصلاح أخلاقه الشخصية” (٣).

ومما يشاهد في حياة الناس أن من كثر شكره لله تعالى - مقالاً وحالاً وفعلًا - كثر عطاء الله تعالى له. وقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٤) نص في أن الشكر سبب المزيد (٥)، قال ابن القيم - رحمه الله -: “ولهذا كانوا يسمون الشكر (الحافظ)؛ لأنه يحفظ النعم الموجودة، و(الجالب)؛ لأنه يجلب النعم المفقودة” (٦)، ونقل ابن القيم عن ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال لرجل من همذان: إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن فلن

(١) سورة النمل: (٤٠).

(٢) سورة الزمر: (٧).

(٣) الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة لمحمد عزة دروزة (٣٦٨/٢).

(٤) سورة إبراهيم: (٧).

(٥) تفسير القرطبي (٣٤٢/٩).

(٦) عدة الصابرين: (١٢٠).

ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد^(١). وهذا كلام دقيق جميل نابع من التمكن في الفقه في كتاب الله تعالى والبصيرة فيه. والإنسان الشاكر: هو إنسان يظهر نعمة من أحسن إليه، ولا يجدها، فهو إنسان كريم العواطف نبيل المشاعر، طيب النفس، تجيش مشاعره لأقل معروف فيتأثر به، ولا ينساه وإن طال الزمن، أما الجحود فهو كالأرض القاسية التي لا يؤثر فيها سقيها بالماء مهما كان كثيراً، فعواطفه جافة ومشاعره متحجرة، وأحاسيسه متبلدة، ونفسه لا تطيب بالمعروف، فهي نفس حاقدة أنانية لا تعرف إلا ما يتصل بمصلحتها وحسب، حتى الرد على تحية الإسلام لا تقوم به، فهي نفس كفورة جحودة لكل معروف ونعمة، وليس ذلك - بحال - من أخلاق وصفات المسلم، بل إن ذلك من أخلاق وصفات الكافر. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٢) وقال رسول الله ﷺ: «من أعطي عطاء فوجد فليجز به، ومن لم يجد فليئن، فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر»^(٣)، ومما تجدر الإشارة إليه أن الشكر يكون بالأبدان أيضاً، ولذلك فهو يتعلق بهذه الثلاثة^(٤) «فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه»^(٥).

(١) نفس المصدر: (١٢٠).

(٢) سورة لقمان: (١٢).

(٣) أخرجه أبوداود في السنن (١٥٨/٥ رقم ٤٨١٣)، والترمذي في السنن (٣٣٢/٤ رقم ٢٠٣٤) واللفظ له. وحسن إسناده محقق جامع الأصول (٣٣٢/٢).

(٤) عدة الصابرين: (١٤٩، ١٥٠).

(٥) نفس المصدر: (١٤٩، ١٥٠).

السبب الحادي عشر: الصلاة على النبي ﷺ :

إن من أفضل ما أعطى الله رسوله ﷺ من الكرامة أن جعله مبارك الذكر لا يحرم ذاكره من المثوبة والإكرام والفضل والانعام ، وكلما زاد الذاكر له في الذكر زاد الله له في الفضل ، يدل على ذلك ما رواه الترمذي عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال: « كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس! اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه، قال أبي: قلت: يا رسول الله! إنني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت، قال: قلت: الربع؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قال: قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك »^(١).

ولا شك أن الصلاة على رسول الله ﷺ سببٌ لحصول خيري الدنيا والآخرة، والتوفيق إليها دليلٌ على الهداية والخير والصلاح، قال ابن القيم — رحمه الله — مبيناً ثمرة وخيرية الصلاة على رسول الله ﷺ: “ إنها سبب لنفي الفقر وأنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله، وعمره، وأسباب مصلحه؛ لأن المصلي داع ربّه أن يبارك عليه وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب والجزاء من جنسه ”^(٢)، كما بيّن رحمه الله تعالى أن الصلاة على رسول الله ﷺ تزيد في الرزق؛ لأنها

(١) سنن الترمذي (٦٣٦/٤) رقم ٢٤٥٧ وقال: حديث حسن صحيح.

ورواه الحاكم في المستدرك (٤٢١/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.
وروى الإمام أحمد في مسنده (١٣٦/٥) الجملة الأخيرة منه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٠/١٠) : رواه أحمد وإسناده جيد.

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام (٤٤٧).

شكر الله تعالى، والشكر يزيد في الرزق، وهي أداء لأقل القليل من حقه، وشكر الله على نعمته.

ولا تتوقف اسباب الرزق عند ما ذكرنا وانما اسباب الرزق كثيرة منها:
الزواج والمتابعة بين الحج والعمرة - حسن الخلق وطلاقة الوجه. ١ الإكثار
من تحية الإسلام للمسلمين. - كثرة البر بالوالدين. - البكور في الأعمال. -
تخير الأزمنة والأمكنة المناسبة للأعمال. - رعاية اليتيم وإطعامه. - كثرة
الصدقة. - إكرام الضيف، والجار، والأصدقاء. ، والإكثار من الذرية. - طلب
العلم، وبذله للمسلمين. - السفر طلباً للرزق.
- التوسعة على الزوجة والأهل والأرحام.
والله ولي التوفيق ،،،

الخاتمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ وَرَزَقَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وساقَ لَهُمْ رَحْمَتَهُ مِنَ السَّحَابِ، وَأَجْرَى فِيهِمْ أَمْرَهُ، وَقَضَى فِيهِمْ بِحُكْمِهِ، وَامْتَنَّ عَلَى بَنِي آدَمَ بِالرِّزْقِ وَالتَّكْرِيمِ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)، وجعل الرزق بيده وحده، وأسبغه على خلقه، وقسمه بينهم بحكمته ﴿كُلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء: ٢٠)، وجعله من آيات وحدانيته في الكون ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النمل: ٦٤)، قدر أرزاق العباد وهداهم إليها، وهدى مَنْ يَأْتِي بِهَا إِلَيْهِمْ، فأعطى مَنْ (من شاءَ بفضله، ومنعَ من شاءَ بعلمه وعدله) ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ (النحل: ٧١).

وبعد :

فإنَّ همَّ الرزق قد أكل قلوب الخلق، وسيطر على عقولهم، وعطلوا من أجله ما كُفُوا به، وهم قد كفوه . قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٦) .

فقضية الرزق من حيث الإيمان به جزء مهم من الاعتقاد في الله تعالى، فالله سبحانه تكفل للخلق بالرزق مهما كانوا وأينما كانوا، مسلمين أو كافرين، كباراً أو صغاراً، رجالاً أو نساءً، إنساً وجناً، طيراً وحيواناً، قوياً وضعيفاً، عظيماً وحقيقياً؛ قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (هود: ٦).

ومما ينبغي علمه:

أن قضية الأرزاق من القضايا التي استأثر الله تبارك وتعالى بها وحده، فلا دخل فيها لملك من الملائكة ولا لنبي من الأنبياء ولا لولي من الأولياء؛ لأن الله جل جلاله يرزق عباده وفق علمه وحكمته وقدرته وتدبيره وإرادته،

وقد أمر الله بالسعي ونهى عن التواكل والكسل .

وجعل للرزق أسبابا، وربط الرزق بها، وطلب من عباده السعي ولم يطلب منهم الوصول الى الرزق.

فقال سبحانه: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ سبباً

وقال: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ نتيجة وفضلاً

وقال لنبيه — صلى الله عليه وسلم — ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرِزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ

لِلتَّقْوَى﴾ طه ١٣٢

ولما كانت قضية الرزق عقيدة ثابتة في قلوب الصالحين هدأت نفوسهم

واستقرت أمورهم:

يقول الحسن البصري:

علمت أن رزقي لن يأخذه غيري فاطمأن قلبي

ويقول الشافعي:

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي

وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي

وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقِي فَلَيْسَ يَفُوتَنِي

وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْعَوَاقِ

سَيَأْتِي بِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي اللِّسَانُ بِنَاطِقٍ.